



ليس سراً أن الشريعة الإسلامية تسمح، تحت شروط معينة، بتعذر الزوجات، وكذلك بعض المذاهب المسيحية كالمورمونية والآمش وغيرها، ولكن ليس هناك أية شريعة سماوية في العالم تسمح بتعذر الأزواج. علماً بأن هذه الظاهرة قد رصدت على مجال ضيق في الحقبات التاريخية القديمة في الهند والتيبت والأمريكيتين لدى قبائل من تلك التي لم تصلها أي من الشرائع السماوية المعروفة.

وكما أن هذه الظاهرة كانت نادرة في المجتمعات الإنسانية عموماً، فهي أيضاً نادرة في مملكة الحيوان. أما الأسد الأأس، وبعد أن خطف سورية وأخذها كسببة حرب في القرن العشرين ثم ورثها لابنه في القرن الواحد والعشرين، فقد قاما بممارسة ذلك على العلن بتزويع سورية إكراهاً لا من زوج واحد، ولا اثنين، ولا ثلاثة، بل من أربعة وفي نفس الوقت. فكيف حصل ذلك ولماذا وبأي شريعة؟

قبل أن يقوم الأسد الأأس بذلك، كان عليه أولاً أن يدفع مقدماً ثمن وصوله إلى الحكم، فقام بمنح الجولان لإسرائيل في حرب حزيران 1967 من دون قتال، بل بأمر بالانسحاب الكيفي الذي أصدره آنذاك من موقعه كوزير للدفاع. وبعد ذلك وخلال حكمه الذي امتد لثلاثين عاماً، قام بتزويع سورية بالاكراه ثلاث مرات:

الزوج الأول: الإيراني:

ما أن وصل الخميني إلى الحكم في إيران عام 1979، حتى سارع الأسد الأأس لعقد حلف معه ليغوص نبذ معظم الدول العربية لنظامه الذي بدأت تفوح منه رائحة السياسة الطائفية آنذاك. كما قام بعقد ذلك الحلف ليهدد به جاره اللدود في العراق حينها من جهة، وليبيتز دول النفط الخليجية بالعصا الإيرانية الغليظة حسب الحاجة من جهة ثانية. أما مقابل ذلك، فقد منح سورية للنظام الإيراني بما يشبه (زواج المتعة) الرائق في بلادهم حتى صار تعداد الإيرانيين في دمشق أكثر من سكانها الأصليين.

الزوج الثاني: الروسي-السوفتي:

كانت بوادر الحرب العراقية الإيرانية قد بدأت تظهر بشكل جلي عام 1980، ولذلك فقد لاحظ الأسد الأأس بأنه وقريباً لن يكون

قادر على الاعتماد على صهره الإيراني وحده. وكان من جهة ثانية، وبسبب سياساته الداخلية التميزية التي وضعت أبناء طائفته في مراكز القرار وهمشت بقية الطوائف مقتصرة على استعمالها كديكور سياسي، وبسبب تزايد الفساد والفقر والقهر، فقد بدأ يشعر ببوارد ثورة شعبية وشيكة وبالخطر الذي ستتشكله على نظامه. لكل هذا، فقد سارع إلى توقيع ماسمي حينها (بمعاهدة الصداقة والتعاون) مع الاتحاد السوفيتي في النصف الثاني من نفس العام. وهي المعاهدة التي سمحت للأخير بقواعد عسكرية برية وبحرية على الأرض والسواحل السورية، ليس للمساعدة في تحرير الجولان المحتل، بل للدفاع عن النظام من ثورة داخلية بادت غير بعيدة. وقد بدت هذه المعاهدة أشبه ما تكون (بنزوج المصلحة) حتى صارت النساء الروسيات، المشهورات بالبدانة وأيضاً بالمفاصلة على الأسعار، يزاحمن أهل البلد في أسواق الخضار والفواكه.

الزوج الثالث: الصيني:

حتى يضمن بقاءه في الحكم، وخاصة في حال وحصل تغير في موقف أو وضع صهره الإيرانية والsovieti، فقد كان الأسد الألب بحاجة (لدولاب احتياط) آخر لدعم عربة نظامه إن (بنشرت)، فسارع إلى زيادة التقارب مع القطب الشيوعي الثاني في العالم، وهو الصين، وخاصة في المجالات العسكرية. وقد بدت دمشق في تلك المرحلة أشبه بكين من حيث أعداد الصينيين فيها.

الزوج الرابع: العراقي:

حين ورث الأسد ابن الحكم عام 2000 عن أبيه، قام بالبقاء على أصهرته الثلاثة السابقين، بل وقوى من نفوذهم بأن فتح لهم البلد بصورة غير مسبوقة ولا حتى في عهد أبيه، وخص الصهر الإيراني منهم بحظوة خاصة. ولكن ومع اندلاع الثورة العالمية ضده من أجل الحرية والكرامة، رأى أن يضيف إليهم صهراً رابعاً هو جاره العراق. فرأينا كيف انقلبت الخلافات الظاهرية التي كانت تحكم العلاقات بين النظامين لعقود، والتي وصلت إلى حد الاتهام والتهديد والوعيد، كيف انقلبت بين يوم وليلة إلى شهر عسل مفاجئ وإلى حلف لا يخلو من رائحة الطائفية البغيضة. فأصبح عدو الأمس، وبقدرة قادر (عرис الغفلة)، وبدأ بإغراق نظام عمه الأسد بالهدايا المتمثلة بالأسلحة والمقاتلين والمالي وكأنه يغدق بها عن بغداد.

إن هذا النظام الذي أهدي جزءاً من الوطن لإسرائيل عربون وصوله إلى الحكم، والذي منح الوطن بأكمله بعد ذلك لثلاثة أنظمة أجنبية معادية لطلعات الشعب السوري، ثم أضاف إليها نظاماً عربياً يأتمن بأوامر نظام معاد، إنما قام بذلك حسب شريعة واحدة هي شريعة البقاء في الحكم، دون أي اعتبار آخر. ولكن سيأتي قريباً اليوم الذي يدفع فيه هذا النظام ثمن كل جرائمه وخياناته، وسيضيع الشعب السوري تلك الأنظمة في مكانها الطبيعي لأنظمة معادية له ولبلده، ويلقي عليها يمين الطلاق بالثلاثة.

المصادر: